

دوام الذكر والعمل الصالح



«يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ أسألكَ بِحَقِّكَ وَقُدُّسِكَ وَأَعْظَمِ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتِي مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً، وبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً، وأَعْمَالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً حتى تكونَ أَعْمَالِي وَأُورَادِي كُلُّهَا وَرِدًّا وَاحِدًا وَحَالِي فِي خِدْمَتِكَ سَرْمَدًا».

- مفاهيم محوريّة:
- التوفيق الإلهي طريق لدوام ذِكْرٍ الله.
- الذِكْر الصادق.
- التوحيد في الذِكْر.
- دوام الاتِّصال في خدمة الله.
- شروط قبول العمل.
- الثبات في خطِّ الطاعة.

معمورة: أصلها عَمَرَ: "العين والميم والراء: أصلان صحيحان، أحدهما: يدلّ على بقاء وامتداد زمان، والآخر: على شيء يعلو من صوت أو غيره. فالأوّل: العمر؛ وهو الحياة". و"العِمَارَةُ: نقيض الخراب.. قال تعالى: (وَالْبَيْتَ الْمَعْمُورَ) (الطور/ 4)".

أورادي: أصلها وَرَدَ: "الواو والراء والdal: أصلان، أحدهما: الموافاة إلى الشيء، والثاني: لون من الألوان".

سرمداً: السَّرْمَدُ: الدائم، قال تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّاهُ عِلَافًا لَكُمْ اللَّاهُ سَرْمَدًا) (القصاص/ 71)".

1- التوفيق الإلهي طريق لدوام ذِكْرِ الله:

ما يستوقف الداعي بدعاء كميل في هذا المقطع تلك الأيمان المغلّطة على الله "بحقّك، وقدسك، وأعظم صفاتك وأسمائك"، والمدعوّ به هو أن يوفّق الله تعالى هذا الداعي؛ ليكون ذاكراً لله عزّ وجلّ على الدوام؛ بأن يجعل كلّ أوقاته عامرة بذكر الله. فهل هو مجرد قول: الله أكبر، والحمد لله، أو سائر التسبيحات؟! تجيب الرواية عن ذلك بأنّ المطلوب هو الذِكْرُ القلبي؛ أي أن يكون الله عزّ وجلّ حاضراً في حياة هذا الإنسان في كافّة الأوقات:

عن الإمام علي (ع): "ما ابتلي المؤمن بشيء هو أشدّ عليه من خصال ثلاث يحرمها، قيل: وما هنّ؟ قال: المواساة في ذات يده، والإنصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً. أما إنّي لا أقول لكم: سبحان الله والحمد لله، ولكنّ ذكر الله عندما أُحِلَّ له، وذكر الله عندما حُرِّم عليه".

فهو متى كان في ظلّ حلال الله؛ ذكّر الله؛ بالتوجّه بالشكر إليه، ومتى رأى محرّماً حرّمه الله عليه؛ ذكر الله؛ فاجتنبه.

2- الذِكْرُ الصادق:

إنّ ذِكْرَ الله باب للوقاية من الذنوب، وهو دليل تعلّق قلب الإنسان بالذاكر بالله عزّ وجلّ، والسعي إلى لقائه. ولذا، كان الذِكْرُ الصادق هو الذي يستتبع العمل على لقاء الله؛ بالنحو الذي يليق وينبغي؛ أي بأن يلقي الله عزّ وجلّ نقي الثوب، طاهراً من الذنوب، وإلا كان من الإستهزاء أن يطلب الإنسان لقاء الله ولا يستعدّ له:

روي عن الإمام الرضا (ع): "سبعة أشياء بغير سبعة أشياء من الاستهزاء: من إستغفر بلسانه، ولم يندم بقلبه؛ فقد إستهزأ بنفسه، ومن سأل الله التوفيق، ولم يجتهد؛ فقد إستهزأ بنفسه، ومن إستحزم، ولم يحذر؛ فقد إستهزأ بنفسه، ومن سأل الله الجنة، ولم يصبر على الشدائد؛ فقد إستهزأ بنفسه، ومن تعوّد بالله من النار، ولم يترك شهوات الدنيا؛ فقد إستهزأ بنفسه، ومن ذكر الله، ولم يستبق إلى لقائه؛ فقد إستهزأ بنفسه".

3- التوحيد في الذِكْر:

كما تزلّ قدم الإنسان؛ فيشرك بالخالقية، أو الربوبية، أو العبودية، فإنّه قد تزلّ قدمه؛ فيشرك في ذِكْرِ الله، فيتعلّق قلبه بغير الله، وينسى ذِكْرَ الله. ومن هنا، حدّر القرآن الكريم من بعض

6- الثبات في خطا الطاعة :

من أشد ما يُبتلى به الإنسان؛ أن يطيع الله في بعض الأوقات، ويعصيه في أوقات أخرى، أو أن يلجأ إلى الله عند الشدائد وينساه في الرخاء. ولذا، كان القليل من العمل مع المداومة عليه أفضل من الكثير من الانقطاع :

روي عن الإمام الباقر (ع) : "ما من شيء أحب إلى الله عز وجل من عمل يداوم عليه، وإن قل".

وفائدة المداومة على العمل، ولو كان قليلاً؛ أن لا ينقطع الإنسان عن الله عز وجل :

روي عن رسول الله (ص) : "أما المداومة على الخير؛ فيتشبه منه: ترك الفواحش، والبعد من الطيش، والتحرر، واليقين وحب النجاة، وطاعة الرحمن، وتعظيم البرهان، واجتناب الشيطان، والإجابة للعدل، وقول الحق؛ فهذا ما أصاب العاقل بمداومة الخير".

وكذلك الحال في الدعاء، وطلب الحاجة من الله؛ فإن الإنسان المداوم على ذكر الله عز وجل يحقق شروط الاستجابة عند الحاجة :

روي عن الإمام الصادق (ع) : "من تقدّم في الدعاء؛ استجيب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: صوت معروف، ولم يُجَبَّ عن السماء، ومن لم يتقدّم في الدعاء؛ لم يُستجب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: "إنّ ذا الصوت لا نعرفه".

ومن الشواهد على كون العمل الصادر من الإنسان بنحو واحد ومتشابه: أن لا يختلف عمله في السر عن عمله في العلانية؛ فلا يكون في مرأى الناس أقرب إلى الله منه في الخلوات، أو أشدّ اجتهاداً في العبادة :

روي عن الإمام علي (ع) : "من لم يختلف سرّه وعلانيّته، وفعله ومقاتلته؛ فقد أدّى الأمانة، وأخلص العبادة".

- وقفة تأملية :

التفكير في آثار ذكر الله تعالى :

ركّز القرآن الكريم على إدامة حالة الذكر بقسميها اللساني والقلبي في كثير من آياته الكريمة؛ لما لها من آثار وبركات في عروج الإنسان نحو الكمال وقربه من الله تعالى :

قال تعالى: (اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الأحزاب/ 41-42).

وقال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) (طه / 14).

وقال تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ - أَوَلَمْ يَلِدْ وَلَدًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ - أَفَلَا يَدْرِكُهُ أَفَلَا يَسْبِقُهَا أَفَلَا يَكُونُ فِي مَلَأٍ مُّبِينٍ) (الزمر/ 22).

وقال تعالى: (اللَّهُمَّ زَرِّ لَ أَحْسَنَ الْخَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر/ 23).

والحال: أن ذكر المحبوب من أعظم علامات المحبة؛ لأن مقتضى المحبة أن يبقى المحبوب حاضراً على لسان المحب وفي قلبه؛ على كل حال، وكلاً ما تعمقت هذه الحالة الذكورية في نفس الإنسان تجاه الله تعالى؛ كلما ازداد حضور الله تعالى في قلبه، وازداد بالتالي انقطاعه عن سواه تعالى، إلى أن يصل الإنسان إلى مرحلة لا يشاهد فيها غير الله تعالى. ►

المصدر: كتاب (آمال العارفين/ سلسلة الدروس الثقافية)